شجرة الغرب

قصة

بقلم

وليد

نجم

الى الشاعر الانسان عبد الباسط الصوفي ، الذي لم تمهله الايام ليكمل حكاية مدينة الغرب ..

—١—

وكأنهما ولدا من بطن واحدة ، هي شجرة تحمل في عروقها كل وداعة الفرات .. وهو بغل يحمل بين ضلوعه كل صبر الانسان ..

كانا آليفين للزمان والمكان .. هي ترخي اغصانها حتى تلامس الفرات ، وهو يدور ويدور وتظل الدائرة المرسومة مجال حركته ..

—٢—

مرة قرر بغل الغراف ان يتمرد ، خاطب نفسه قائلا « اعمل في اليوم الواحد اكثر من نصفه .. اتحمل الجوع والعطش ولا اشتكي .. اتحمل لسع عصا سيدي ولا أحتج .. صحيح ان الدوران أصبح عندي عادة ، ولكن لماذا يغمضون عيني اثناء العمل ؟

ألهذه الدرجة لا يثقون بي ؟!

انا كذلك لم أعد أثق بهم .. !!

وبينما هو يخاطب نفسه اذ به يسمع هذا الحوار بين أب وابنه كانا يقفان بالقرب منه .

سأل الولد : لماذا يضعون يا والدي عصابة سوداء على عيني البغل عندما يدور حول الغراف ؟

رد الوالد : ليشتغل اكثر يا ولدي ، فاذا فتحوا عينيه على الحياة سيتلهى ، وبالتالي سيقل مردود عمله !

لم يعد أي شيء مخفيا ، كل الاشياء أصبحت مكشوفة أمام البغل .

وفي ليلة حالكة السواد ، حول قراره الى تنفيذ . فبعد أن تأكد من غفوة سيده .. جر نفسه دون ان يترك أي صوت ، وانسحب ..

كانت تدور في ذاكرته جملة موجودات عاش معها ، وبكى لانه لا يستطيع وداعها . وفي اللحظة التي شرع بها مغادرة القرية ، شعر بأن قوة هائلة تقوده لرؤية الغراف الذي كان يعمل عليه ، ورؤية شجرة الغرب التي كانت ترافقه في وحدته .

اقترب من الغراف ، فكانت بقايا قطرات الماء تتساقط من خلال سطوله المهترئة .. نظر اليه صامتا ، لكن الغراف كان غارقا في حزن قاتل فقد افجعه في هذا اليوم الحوار الذي سمعه بين الاب وابنه .

سأل الولد : يا والدي لماذا لا يصلحون سطول الغراف لتجر اليهم مياها اكثر ؟

رد الوالد : يا بني انهم لا يفكرون سوى بالمحاصيل ..!!

أشاح البغل نظره عن الغراف ، وعلقه على شجرة الغرب .. كانت الشجرة ترخي اغصانها بمرارة ، بينما الاسى يكاد ان يتسرب من جذعها .. كانت مقهورة ، فطر قلبها الحوار الذي سمعته بين الاب وابنه .

سأل الولد : يا والدي لماذا يقطعون شجرة الغرب ؟ ان شكلها وديع !

رد الوالد : لانها لا تقاوم يا ولدي ، فهي شجرة عزلاء !

قال الولد : ولكن لماذا لا تصرخ طالبة النجدة ؟

قال الوالد : لا فائدة يا ولدي ، حتى لو صرخت فان صوتها لن يسمع !!

لم يعد البغل قادرا على تحمل منظر الغراف ، ارخى ساقيه للريح ومضى في أرض الله . ورغبة كبيرة تدور في رأسه ، انه لن يقبل مطلقا باغماض عينيه .

تنقل في البلاد ، رأى مزارع ووديانا ، صعد جبالا ومشى في سهول . شاهد عمارات وطوابق ، وما زالت عيناه

مفتوحتين . كان قلبه مفتوحا ، لكنه الان امتلأ .. أصبحت بقايا بقع الصبر التي يحملها في داخله ، نقطا هزيلة .. وما زالت عيناه مفتوحتين يرى بهما كل شيء ..

رأى .. رأى .. ورأى ، وأخيرا قرر الخلاص ، لم ينتحر كعادة الرجال اثناء تعرضهم للمصائب العظيمة ، انما قرر الرجوع الى قريته وهو يخاطب نفسه :

« احيانا يكون العمى افضل من رؤية الحقيقة » وصل الى قريته بعد رحلة طويلة ، فتوجه على الفور الى الغراف ، وشجرة الغرب ..

كان يعتقد بعد هذا الفراق الطويل ، ان شكل العالم حولهما قد تغير ، لكنه فجع ..

لقد اكتشف ان الغراف ما زال غرانا ، لم تتغير فيه سوى كثرة الثقوب التي كادت ان تملأ سطوله ..

أدار نظره على مكان شجرة الغرب ، فصعق .. لم تكن الشجرة موجودة ..

سأل الغراف عنها ، فرد حزينا يقول :

« مسكينة شجرة الغرب ، ارادت ان تتمرد على قاتلها، فشدت جذعها عندما هوى بفأسه عليها .. لكنه بكل بساطة أخرج مبردا وراح يسن به فأسه ، حتى أصبحت اشعة الشمس تتكسر عليه ، وقبل ان يهوى به على جذعها ، كانت شجرة الغرب ، قد سقطت جثة هامدة ،

« ما دام الموت محتما ، فالافضل ان نختار اقصر الطرق .. »

—٣—

وكأنهما ولدا من بطن واحدة ، هي تحمل في عروقها كل الخوف ..!!

وهو يحمل بين اضلاعه كل الذل..!!

كانا اليفين للزمان والمكان ، هي ترخي اغصانها حتى تقبل الاقدام .. وهو يدور ويدور ، وكأنه يريد ان يثبت كروية الارض ..

---

١ ـ شجرة الغرب : شجرة تنمو على ضفاف الفرات : اذا قطعتها هنا تنبت هناك .

٢ ـ الغراف : وسيلة لجر المياه من الفرات يشبه لحد كبير النواعورة ، يديره عادة بغل .

الفكر العربي

في معركة النهضة

تأليف الدكتور انور عبد الملك

« هذا الكتاب موجه في المقام الاول الى قطاع محدد من جمهور القراء في العالم العربي ، هو قطاع الجيل الجديد من شبابنا العربي في كل مكان ، شباب الريف والمدن ، شباب الفكر والعمل ، شباب الانتاج والعلم والسلاح . ربما يجد فيه بعض رجال الفكر والعمل من جيلنا ـ الذي كان « على موعد مع القدر » ـ اسهاما في نهضتنا الحضارية . نقول « البعض » ، اذ ان منهج التنقيب عن مستقبل الفكر العربي في عصر النهضة الحضارية ، وهو المنهج النابع من تغيير الاطار المعرفي ـ وهو جوهر عملنا النظري القائم منذ ١٩٥٩، والمرتقب ، الا وهو تجديد الفلسفة الاجتماعية على ضوء تفاعل حضارات الشرق والغرب ـ نقول : ان هذا المنهج وذلك التجديد النظري يمتان على وجه التحديد الى مرحلة الثورة الوطنية التقدمية وغايتها النهضة الحضارية ، وهي مرحلة جديدة حقا على المفاهيم والتقاليد الفكرية الموروثة للاجيال السابقة من حركتنا الوطنية المتأقلمة في اغلب الاحيان في اجواء ثقافية ـ فكرية استشراقية ، او امية ، او سلفية .

وهو كتاب يتصدى للاجابة على سؤال مركزي في تحركنا العربي المعاصر ، الا وهو : كيف يمكن ان نقيم علاقة جذرية ، عضوية ، متصلة ، بين تحركنا الوطني التحرري المتجه الى الثورة الاجتماعية والهدف الاشتراكي من ناحية ، وبين اقامة فلسفة تواكب هذا التحرك الذي فرض نفسه على العالم أجمع ، تكون ، على وجه التحديد ، فلسفة النهضة الحضارية في مصر والعالم العربي ؟ » .

ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب